الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات: مفارقة الضرورة والامتناع.

د/ بوزيرة عبد السلام جامعة محمد بوضياف المسيلة

ملخص

في عالم تزايدت فيه النزاعات العرقية والدينية، وتصادمت فيه المصالح السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، جاءت الدعوة لحوار الحضارات كخيار استراتيجي لدى الباحثين والمفكرين والسياسيين ، من أجل الاطلاع على ثقافات الآخرين والتفاعل مع مكوناتها ومرجعياتها، خصوصا الثقافة الإسلامية. غير أن العلاقة بين العالمين الغربي والإسلامي، شهدت في الآونة الأخيرة موجة من الممارسات العنصرية، وأشكالا من العداء والتمييز ضد الإسلام والمسلمين، تم إدراجها تحت مسمى – **الإسلاموفوبيا**– باعتبارها حالة خوف مرضي غير مبرر وعداء ورفض أضرت بالإسلام والأطراف المسلمة. هذه المفارقة الغريبة تضعنا أمام تساؤلات عدة تنصب كلها حول مشروعية وجدوى الدعوة للحوار الحضاري والتقارب بين الثقافات، في ظل الاستقطاب بين العالمين الغربي والإسلامي، وثنائية الحوار كضرورة ، والرهاب من الإسلام كمانع .

كلمات مفتاحية : الإسلام، الخوف، الحوار، الحضارة ، الكراهية ، الغرب ، العالم الإسلامي، الثقافة ، الهوية، الصدام، الخرافة.

Résumé

Dans un monde où conflits ethniques et religieux ne cessent de s’intensifier, et où s’opposent intérêts politiques, économiques et stratégiques, s’élèvent des voix parmi chercheurs, intellectuels et politiques appelant à faire prévaloir le **dialogue des civilisations**, lequel dialogue aura pour but de nous faire découvrir la culture de l’autre et nous amener à nous y interagir favorablement. Or, la relation entre les mondes occidental et

musulman a été mise ces dernières années à l'épreuve d'actes racistes et de diverses formes d'animosité et de ségrégation à l'encontre des Musulmans qui, s'étant trouvés jetés en pâture à cette peur pathologique et irraisonnée que l'on appelle « **islamophobie** », en ont énormément souffert. Etrange paradoxe qui nous amène à remettre en cause la raison d'être et l'utilité d'appeler au dialogue des civilisations et, par corollaire, au rapprochement des cultures ; actes que nous pouvons qualifier de **superstition** de dialogue.

Mots clés: Islam, peur, dialogue, civilisation ,haine, Ouest, monde musulman, culture, identité, confli, obstacle.

Summary

In a world where ethnic and religious conflicts has increased, and the political, economic and strategic interests havecollided,the call for **dialogue among civilizations** comes as a strategic option in order to see the cultures of others, and interact with their components and references,especially the Islamic culture. However, the relationship between the Western and Islamic worlds has seen in the recent years a wave of racist practices, and forms of hostility and discrimination against Islam and Muslims which has been incorporated under the name of **Islamophobia**; a fear which is not justified , and hostility and rejection which hurt Islam and the Muslim parties . This strange paradox put us before several questions all about the legality and feasibility of the call for the dialogue and the cultural rapprochement between cultures, which we can call it a lie or **myth** of dialogue.

Keywords : Islam, Fear, dialogue, civilization, Hatred, Western , Muslim world, Culture, identity, Conflict, myth.

مقدمة

لاشك أن مفهوم الحوار بين الحضارات والثقافات من المفاهيم والمواضيع الأكثر تداولا في السنين الأخيرة بسبب الأزمات الحادة التي طبعت هذا

العصر والذي استحكمت فيه الصراعات الاجتماعية والدينية والثقافية. لذا بات مفهوم حوار الثقافات أو الحضارات ضرورة مُلحة فرضتها التغيرات الحاصلة في العلاقات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة ، فالعالم شهد العديد من التغيرات الأيديولوجية التي أدخلته في حقبة جديدة، وشكل غير مسبوق من الصراعات والنزاعات والحروب ، وتحول العالم عبر انهيار جدار برلين وسقوط الشيوعية إلى عالم أحادي القطب تقوده الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما، فباتت الحاجة مُلحة في البحث عن عدو جديد يتمم حلقة الصراع ،ويكمل مسيرة الصدام ، فوجدوا في الإسلام المرشح الأنسب للعب هذا الدور أكثر من أي وقت مضى.وفي هذا السياق عقدت قمة روما في نوفمبر 1991 والتي حضرها رؤساء دول حلف الناتو، وناقشوا خلالها الأخطار المحتملة القادمة، وقد عبر قادة عسكريون في الحلف عن مخاوفهم مما أسموه"الإسلام السياسي" وترجيحه كعدو محتمل بدلا من الشيوعية. فبدأت مشاعر الكراهية والحقد والخوف لدى المجتمعات الغربية تتنامى تجاه الإسلام والمسلمين، إذ ساهمت هذه المشاعر في تشكيل مبررات لسلوكيات غربية مجحفة بحقوق الأطراف المسلمة، وقد أخذت هذه التصرفات صورة المطالبة بسياسات تحد من الحقوق والحريات المدنية لمسلمي الغرب ،أو تخضعهم لمراقبة متزايدة من قبل السلطات الأمنية. أما على المستوى الفكري فترتبط علاقة الغرب بالعالم الإسلامي بنظرة اختزالية للإسلام كدين وكثقافة، حيث تصور الإسلام كمجموعة محدودة وجامدة من العقائد التي تحض على العنف والرجعية والنظرة السلبية للآخر وترفض الحرية والعقلانية وحقوق الإنسان. فظاهرة معاداة الإسلام

والخوف من معتنقيه ، واتخاذه كفزاعة للشعوب الغربية أصطلح عليها في قاموس الغرب باسم "**الإسلاموفوبيا Islamophobie**" إذا نحن أمام مفارقة غريبة كرسها الغرب في علاقته بالعالم الإسلامي فمن جهة يدَعي الغرب أن حوار الحضارات والاطلاع على ثقافة الآخرين إحدى الركائز الأساسية لحفظ الأمن والسلم و إشاعة التسامح والتقارب بين الشعوب والثقافات، وفي الوقت نفسه يعزز وبطريقة مباشرة ومكشوفة للمشاعر السلبية العميقة المدفونة في وعي المواطن الغربي ضد الإسلام والمسلمين، والتحيز التاريخي والثقافي ضد الإسلام كدين وضد المسلمين كحضارة. فهل يمكن التأسيس لحوار حضاري في ظل الاهتجاس غير المبرر من الإسلام والمسلمين، وفي كنف الترويج لصراع حضاري حاد ؟ هل يبقى للحوار الحضاري من مبرر في ظل الإساءات الغربية الممنهجة والمحسوبة باختلاف منابرها وأساليبها للإسلام والمسلمين؟ ألا تصبح الدعوة الغربية لحوار الحضارات استغفالا للآخر في كنف السعي المكشوف إلى الهيمنة الشاملة ؟

1- الإسلاموفوبيا كمفهوم وكواقع

أولا من الضروري القول بأن ظاهرة الإسلاموفوبيا تضرب بجذورهاعميقاً في تاريخ قديم حافل بمسلسل طويل من العلاقات المضطربة بين"الغرب"و"الإسلام" حيث استقر- هذا الأخير- في الذهنية الغربية بوصفه تعبيراً عن خطر داهم محدق يتهدد كل ما هو غربي، غير أن مصطلح "الإسلاموفوبيا" من المصطلحات الحديثة نسبياً إذ أصبحت أكثر تداولا في الفضاء المعرفي المعاصر المهتم بصورة خاصة بعلاقة

الإسلام بالغرب. وقد تم نحت المصطلح الذي استعير في جزء منه من علم الاضطرابات النفسية للتعبير عن ظاهرة الرهاب أو الخوف من الإسلام. وهي في الواقع ظاهرة قديمة جديدة، قديمة قدم الدين الإسلامي نفسه، وإن كانت قد تصاعدت حدتها في عالم اليوم، وبخاصة في دول الغرب بعد التفجيرات الشهيرة التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من سبتمبر 2001 [1] . فمصطلح **الإسلاموفوبيا** أو رهاب الإسلام– يعني الخوف الذي لا مبرر له من الإسلام –هو لفظ حديث نسبيا ، ومثير للجدل من حيث أسبابه وبواعثه. لكن الأكيد أن المصطلح يشير إلى ذلك التحيز المكشوف ضد المسلمين أو شيطنة المسلمين والإجحاف والتفرقة العنصرية ضدهم. فالمصطلح شاع استخدامه و بدأ في التبلور منذ أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي اثر بروز ظاهرة ما يسمى "الصحوة الاسلامية" أو "صعود الاسلام السياسي" في العالم العربي والاسلامي، وخاصة بعد الثورة الإيرانية بزعامة الإمام الخميني 1979، وكذا الحركات الإسلامية مع الشيخ حسن البنا مثلا التي قدمت الإسلام ليس بمفهوم متجاوز لمفهوم الدين فقط، بل قدمته بوصفه نظاما شاملاً اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وقضائيا. وبهذا يرى الدارسون الغربيون المتحيزون أن الإسلام بهذه الصفة يتم تقديمه بوصفه أيديولوجية جديدة للمقاومة، وفي هذا التصور تهديد لمصالح الغرب الذي يقدم أنموذجه الحضاري على أنه نهاية التاريخ ، ويسعى إلى تنميط العالم وقولبته وفق استراتيجيته، بما يحقق هيمنته الكاملة على باقي العالم، خاصة أن مجمل هذه الحركات تسعى إلى الوصول السلطة لإقامة الدولة الإسلامية. غير أن الواقع يؤكد على أن الباحثين الغربيين

لا يفرقون بين الحركات الإسلامية فكلها توصف بأنها بخلفيات أصولية باعثة على التوجس والاحتراس[1]

فمفهوم **الاسلاموفوبيا** ارتبط في الكتابات الغربية بمجموعة من المسلمات المسبقة والسلبية عن الاسلام والمسلمين. وبخاصة تلك الصورة النمطية التي شكلتها المخابرات البريطانية عبر لورنس العرب وملاحظاته.[1] وأكملتها المخابرات الاميركية في سياق عملها على رسم قوالب نمطية للأمم والشعوب بهدف وضع قوالب سلوكية للتعامل معهم. فقد اكتسب هذا المصطلح معاني إضافية في أوروبا في الثلاثين عاما الماضية ، وأصبح المقصود به في فرنسا وألمانيا وبريطانيا مثلا اولئك المهاجرين الأجانب الوافدين من البلاد الإسلامية، والحاملين لعقيدة وثقافة مختلفة ومتباينة يجب الاحتراس من أفكارهم وسلوكاتهم وأيديولوجيتهم، فأصبح هؤلاء بذلك يشكلون أقلية بعقيدة وثقافة مغايرة تتميز عن الأكثرية من حيث مقومات هوتها سواء في الدين، أو المذهب أو العرق، أو اللغة، أو نحو ذلك من الأساسيات التي تتميز بها المجموعات البشرية بعضها عن بعض.[1] وبسبب هذا التمايز وعدم القابلية للاندماج والانصهار تعرضت فالأقلية المسلمة لممارسات غير عادلة في الغرب، ليس لأنهم أقلية فقط ولكن لأنهم اولا وأخيرا مسلمين.وهذه الممارسات يمكن تلخيصها في شتى صنوف الاضطهاد والتمييز والتضييق الاستفزاز،حتى أصبح كثيرا من غير المسلمين يزدادون يوما بعد يوم خوفا من الإسلام وكراهية لمعتنقيه.فهناك من الوقائع الكثيرة التي تبرر هذه الحقيقة من مثل موقف الدبلوماسي الأمريكي " **كسنجر** Henry Kesnger" الذي

لا يحتاج إلى جهد لبلورة مفهومه ومنطلقاته، فقد صنف العالم الإسلامي بصورة عامة في خانة العداء متحدثا عن ممثليه الذين يقصد بهم منفذي الهجمات المعروفة ، مما يجعلنا أمام صورة عن الإسلام وليس عن تيار معين ،أو تنظيم محدد، ولا حتى عن توجه فكري أو سياسي أو ديني ما. وغير بعيد عن ذلك، يتموقع توجه ما فتئ ينمو ويستقطب شخصيات فكرية وسياسية غربية وبخاصة في الولايات المتحدة بقيادة المفكر السياسي الاستراتيجي الأمريكي "**دانيال بايبس** Daniel Pipes" الذي يذهب " إلى أن الإرهاب ليس في ذاته الخطر، وإنما الخطر يتمثل في الرؤية العقدية والفكرية التي تتبناها القوى التي تستخدمه تقنية إجرائية، أي الإسلام والمسلمين[1]. ويكفي أن الكثير من التشبيهات التي تستخدم في الغرب بغرض أجل إثارة القول بأن المسلمين في أوروبا هم بمثابة الغزاة والكائنات الدخيلة التي تمثل العدو الداخلي الذي يجب محاصرته بشتى الأساليب والسبل،ومن هذه التوصيفات الطابور الخامس[1] وحصان طروادة [1] وغيرها. لكن هذه التوصيفات اختزلت اليوم كلها في مصطلح "**الإسلاموفوبيا**" للتعبير عن تلك الحالة من التعصب والتحيز ضد الإسلام والمسلمين. تحولت مؤخرا إلى حالة من الهوس النفسي الذي استوطن في ذهنية الغربيين عموما، واستبد بمشاعرهم يمكن تسميته الرهاب أو(فوبيا) من كل ما له علاقة بالإسلام وبالمسلمين ، وذلك تحت تأثير الدعاية الإعلامية الموجهة.

2 - ظاهرة الإسلاموفوبيا: بحث في الأسباب والبواعث

لظاهرة الإسلاموفوبيا أسباب متعددة تتفاوت في أهميتها وقوتها، وتتداخل في طبيعتها وتركيبتها، غير أنها تتظافر فيما بينها لتشكل الظاهرة على النحو الذي تتمظهر به واقعيا. فليس من السهل التمكن من جرد كلي وتام لأسباب تشكل ظاهرة الإسلاموفوبيا، لكن يمكن استقصاء أبرز الأسباب الفاعلة التي ساهمت ولا زالت تساهم بكيفيات شتى في بلورة هذه الظاهرة، وترسيخها على هذا النحو في الوعي الغربي، يمكن أن نوجزها في:

أ- الصراع التاريخي بين الإسلام والغرب المسيحي.

تعتبر الفتوحات الإسلامية التي بدأت منذ العهد النبوي، وتوسعت حدودها وآفاقها على امتداد قرون طويلة لاحقة، وما ارتبط بها وتمخض عنها من هزم جيوش الروم، وتهديم معاقل وجودهم في المناطق التي اكتسحتها عقيدة الإسلام، قد شكلت أهم مفاصل الصراع بين العالم الإسلامي والغرب المسيحي وما ترتب عنها من حروب شنها الغرب الاوربي في القرون الاخيرة من العصور الوسطى على بلاد الاسلام، او ما تعرف باسم الحروب الصليبية [1] ويبدو أن التفاعل المباشر لأبناء الغرب مع المسلمين لعقود طويلة، سواء في سياق احتلالهم لبعض البلاد الإسلامية ،أو في إطار استفادتهم عن طريق رحّالتهم وطلابهم من النهضة العلمية والحضارية التي ازدهرت في كثير من مدائن العالم الإسلامي، لم يكن كافيا للنجاح في تبييض الصورة القاتمة التي رسموها في أذهانهم تجاه الإسلام وأتباعه، بوصفه دينا دمويا لا يمكن أن يقترن إلا بالعنف والتخلف والإرهاب، وأن الإسلام جامد ومتحجر وغير

متسامح مع من يختلف معه أو يدخل معه في نزاع، فالإسلام عقيدة عنف، وأن أهله لا يتقبلون أي نوع من الحوار الايجابي البناء،وأن القرآن هو الذي يمد المسلمين بالرغبة في قتل الأبرياء " فالصورة النمطية تكرست عن الإسلام من حيث كونه دينا عنيفا شعاره السيف والحرب والقتال، وهذه الصفات هي ما يمثل النقيض المباشر للمسيحية. فالمسلم يتقدم إلى مساحة الإدراك المسيحي الأوروبي باعتباره رجلا محاربا، شرسا، متوحشا، يقوم بكل أنواع النهب والتنكيل، تاركا بذلك وراءه تعاسة وشقاء لا يوصفان. يمثل الرجل المسلم كل تعبيرات العدوانية. يحركه ميل قوي للقتل. لقد اعتبرت القوة، على نطاق عام تقريبا، عنصرا مؤسسا للديانة الإسلامية وعلامة بديهية على الضلال" [1] .فالشواهد التاريخية تتعدد وتتنوع ،وكلها تؤكد على استمرارية حضور الذهنية التاريخية التي انطلقت منها الحروب الصليبية في أعماق الكثيرين من أبناء الغرب حتى عصرنا الحديث والمعاصر. فعلى سبيل المثال،عندما احتلت القوات البريطانية مدينة القدس سنة 1917 بقيادة الجنرال " **إدموند هنري هاينمان ألنبي** Edmund Henry Hynman Allenby " – الذي كان أول غربي يدخل المدينة منذ تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي– هتف معلنا " الآن انتهت الحروب الصليبية ". وعندما اجتاحت القوات الفرنسية مدينة دمشق بعد انتصارها في معركة **ميسلون** وهي معركة قامت بين قوات المتطوعين السوريين بقيادة وزير الحربية يوسف العظمة من جهة، والجيش الفرنسي، بقيادة الجنرال **هنري غورو** 1920، توجه إلى قبر صلاح الدين الأيوبي قائلا " أنظر يا صلاح الدين ها قد عدنا "[1]. وفي جنوب فرنسا، وفي المكان الذي انطلقت منه

الحروب الصليبية على وجه التحديد، هناك جمعية فرنسية تعقد كل عاما اجتماعاً دورياً لاستحضار الأجواء التي احتضنت ولادة الحروب الصليبية، حيث يتم في الاجتماع إلقاء الخطب المحاكية لخطبة "**البابا أوربان الثاني Urban II** " الذي أعلن عن انطلاق تلك الحروب، كما يجري إعادة تمثيل انطلاق الحملة الصليبية الأولى[1] وهي الحقيقة التي اعترف بها المستشرق "**غوستاف لوبون** Gustave Le Bon" [1] في قوله" تراكمت أوهامنا الموروثة ضد الإسلام بتعاقب القرون، وصارت جزءاً من مزاجنا ،وأضحت طبيعة متأصلة فينا تأصُل حقدِ اليهود على النصارى الخفي أحيانا والعميق دائما " فعندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قُطِعت رءوس العرب والمسلمين، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم ،وبُقرت بطون بعضهم، فكانوا يُضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحُرِق بعضهم في النار فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يُرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رءوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا " [1]وقد شكلت زلة اللسان الشهيرة للرئيس الأمريكي السابق **جورج بوش الأب** التي تداولتها مختلف وسائل الإعلام عبر العالم، انزلاقا إلى القول بأن حربه على الإرهاب بعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر هي حرب صليبية مما يؤكد فعلا على أنها مؤشر مهم على استيطان فكرة الحروب الصليبية في أذهان كثير من رجال السياسة في العالم الغربي، وتعبيرا عن إرث غربي قديم يتم توارثه.[1]

ب – الجهل بالإسلام و الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين.

الواقع أن الغرب ـ على المستوى الشعبي خصوصا ـ جاهل بحقيقة الإسلام، فما يُروج عن الإسلام في المجتمع الغربي إنما هو من قِبل مصادر مشكوك في موضوعيتها ونزاهتها، وعدم إحاطتها العميقة بحقيقة الإسلام وجوهره. فالمناهج المدرسية وحتى الجامعية في العالم الغربي، ما تزال مثقلة بكم هائل من المعلومات المغلوطة والمضللة عن الإسلام، التي تعود في جذورها إلى مرجعيات قروسطية مصطبغة بروح الحروب الصليبية. فقد حاول **فراد هاليداي "Fred Halliday"** أبراز الأسباب التي رسمت صورة مغلوطة عن الإسلام والمسلمين، وحصرها في نوعين:عداء استراتيجي وآخر شعبي. فالأول موجود في الولايات المتحدة ويرتبط بمسائل مثل واردات البترول والأسلحة النووية والإرهاب، ويعود تاريخ هذا النوع بحسبه إلى السبعينيات كنتيجة لرفع أسعار النفط من قبل منظمة أوبك والثورة الإيرانية ،وأزمة الرهائن الأميركيين في طهران، وتفجير مركز التجارة العالمي، والتحليل المتحيز لهذه الأحداث من قبل الصحافة. أما الثاني الشعبي فقد ظهر كردة فعل، ويتعلق بمسائل تتصل بوجود المسلمين في المجتمعات الأوربية مثل الاستيعاب والدمج العنصري، العرق، الحجاب،... وهذا النوع من العداء أصبح منذ الثمانينيات جزءا من موقف مناهض للمهاجرين في أوربا الغربية.[1] فالخطاب الاستشراقي مايزال حاضرا بقوة في الخطاب الإعلامي الغربي عندما يتعرض للإسلام والمسلمين وقضاياهم، ومعنى ذلك أن مجموعة واسعة من المواقف المسبقة تجاه المسلمين وثقافتهم هي التي تؤسس

للعقلية الجماعية لقطاع واسع من المجتمع الغربي. فالخطاب الاستشراقي يكرس أفهاما عمومية عن سكان العالم الإسلامي، سواء من ناحية وحياتهم الاجتماعية (القمع الأبوي والسلطوي)، أو طبيعة العلاقات بين الرجل والمرأة (تحكم الرجل بالمرأة وتعدد الزوجات)، أو طبيعة الحكم السياسي (الاستبداد الديني)، أو عدم تواؤم الإسلام والمسلمين مع المفاهيم السياسية والثقافية الحديثة (كالديمقراطية وحقوق الإنسان) فالعوائق السياسية والسيكولوجية الموروثة عن الحقب السابقة حالت دون مقاربة الإسلام كواقع حضاري وثقافي يمكن دراسته دون تدخل اعتبارات الانتماء. يقول المستشرق الألماني **رودي بارت** Rudi Paret "حقيقة أن العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرفهم على الإسلام، وكانوا يتصلون بها على نطاق واسع، ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعا ما كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل في أن هذا الدين المعادي للنصرانية لا يمكن أن يكون فيه خير. وهكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا لتلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون كل الأخبار التي تلوح لهم مسيئة إلى النبي العربي وإلى دين الإسلام"[(1)] فقلة هم المستشرقون الذين حاولوا إرجاع الأمور الى أسبابها وهم يكتبون عن الأوضاع في العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فأغلبهم قدم تفسيرات عنصرية في شرحه للأوضاع آنذاك، وربطوها بعنصرين: الأول يكمن في العاهات الفطرية للشعوب التي تدين بالإسلام، والثاني متعلق بالإسلام كدين مطبوع بطابع التخلف وعدم الحركية. ومنهم من ذهب الى أبعد من ذلك مستوحيا ومتمثلا الصورة

الكنسيّة النمطية للإسلام. وأشهرهم المستشرق المؤرخ الفرنسي "**أرنست رينان** Ernest Renan " الذي لم يجد حرجا في القول بأن أي فرد يعرف حدودا دنيا من معارف اليوم، يمكن أن يرى بوضوح دونية البلدان الإسلامية، وانحطاط البلدان التي يحكمها الإسلام، والعجز الفكري للأجناس التي تستمد من هذا الدين ثقافتها وتربيتها فلم يكن يرى في الإسلام إلا السلسة الأكثر ثقلا التي لم تحمل البشرية مثلها قط. أما عنصريته فلم يتوان عن نشرها في كل المحافل. ففي محاضرة له حول نصيب الشعوب السامية في الحضارة اختزل الإسلام في هذه العبارات "إن الإسلام هو التعصب، إن الإسلام هو احتقار العلم، إنه إلغاء للمجتمع المدني" (1) فالدراسات الإستشراقية لم تعط سوى نتائج معرفية هزيلة في دراستها للإسلام، والسبب في ذلك هو عجزها عن التخلص من المعايير الإثنية الغربية عند تناولها للإسلام ، كما ظهرت من أجل خدمة المصالح الاستعمارية الغربية، وتسهيل عملية السيطرة على الشعوب الإسلامية وهذا ماعبر عنه محمد أركون في قوله" الأبحاث الاستشراقية ذات المقاربة الوصفية قد عجزت عن أن تتمثل تعددية الممارسات داخل الحضارة الإسلامية والعربية بتركيزها على بعض الجوانب تركيزا استخداميا يبتعد عن المعايير العلمية والموضوعية" (1) ولا نغفل وهنا دور اللوبي اليهودي في تقديم صورة سيئة عن المسلمين في المنظومة الإعلامية العالمية، وتصوير إسرائيل على أنها دولة ضعيفة يهدد المسلمون أمنها ووجودها. فالنفوذ الصهيوني الذي تغلغل بعيداً إلى أعماق لا يمكن إدراكها في الذهنية الغربية عموما ،وذلك بمقدار الإنجازات التي حققها هذا الكيان خلال العقود الماضية وأهمها نجاحه

في محو صورة اليهودي البخيل المرابي،الانتهازي الجشع، المتوجس. لتتحول الصورة إلى الإنسان المثقف، الذكي، الكريم،المرح، صاحب المواقف الإنسانية النبيلة، وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة واستغلال بعض الأحداث التي تم تحجيمها مثل محرقة اليهود "الهولوكست"[1] في العهد النازي في ألمانيا وكيف تم إستغلال هذه القضية لكسب تعاطف شعوب أوروبا لا سيما بريطانيا والويات المتحدة الأمريكية. فعندما يوصف الإسلام بالإرهاب والتعصب، والقمع والتهجير والتضييق على الحريات والحقوق الطبيعية هذا كله من العوامل التي نمَت وتُنمي التطرف الديني، واستقواء الجماعات الإسلامية المتطرفة "فارتباط الشخص بالجماعات الدينية الإسلامية المتطرفة وانضمامه إليها واستجابته لاتجاهاتها المذهبية المتطرفة إلى أنه قد وجد لنفسه بداخل هذه الجماعات المتطرفة مكانة متميزة لا يجدها في المجتمع الذي يعيش فيه خاصة إذا كان هذا المجتمع لا يتيح له الفرصة لتحقيق طموحاته وتكون النتيجة إحساسه بالضغوط وتعرضه لمشاعر الفشل والإحباط مما يجعله مهيأ للاندماج في الجماعات الدينية المتطرفة التي تمنحه الإحساس بالراحة والقوة وتحقيق المكانة المتميزة التي حرم منها" [1]

ج- تنامي رهاب الديموغرافيا

لقد ولَدت الهجرة ونسبة التزايد السكاني للمسلمين تخوف الغربيين من خطر إسلامي متصاعد داخل بلدانهم، وخشيتهم من هيمنة الأعراق الإسلامية على الثقافة الغربية مستقبلا وبالخصوص في فرنسا، في نفس الوقت الذي تتراجع فيه أعداد المولودين بالمجتمعات الغربية، فأكبر

هاجس يعيشه الغرب اليوم هو أن تصبح أوربا وبالخصوص فرنسا إسلامية، وجزءا من المغرب العربي قبل نهاية القرن الحالي، استنادا إلى التحولات الديموغرافية التي تشهدها القارة الأوربية. إن فالأوربيّين يتزوجون متأخرين، ولا ينجبون أطفالا إلا بعد قليل، بينما يبرز النقيض المعاكس تدريجيا، والذي يتجلى في حضور تركي كبير في ألمانيا، وعربي كبير في فرنسا، وحضور إسلامي باكستاني في بريطانيا، وإن هؤلاء يتزوجون باكرا، وينجبون أطفالا بكثرة. لذلك اعتقد الباحث الأمريكي**"صامويل هانتينجتون Samuel Huntington** " بأن الصدام الحضاري في شكله الحاد والعنيف سيكون نتاجا للحيوية السكانية في الجنوب مقابل الركود الديمجرافي في الغرب، مركزا على الخطر الداهم الذي تشكله الديمغرافيا الزاحفة للعالم الإسلامي باعتبارها أحد المصادر الرئيسية للنزاعات الدولية في العالم "ثمة شئ في الإسلام يبعث على العنف، وهذا الشيء هو النمو السكاني الضخم للشعوب الإسلامية في السنوات الأخيرة . إن النمو السكاني عرف تزايدا مثيرا خصوصا...في إفريقيا الشمالية...حيث تتعدى عشر مرات نسبة التزايد السكاني في أوروبا الغربية، مما سيخلق أزمة هجرة عالمية، مشيرا إلى أن الغربيين أصبحوا يخشون أكثر من أي وقت مضى من أن يتم "اكتساحهم ليس من طرف الجيوش و الدبابات ولكن من طرف المهاجرين الذين لديهم لغات وآلهة وثقافات خاصة بهم" الأمر الذي يمثل تهديدا لنمط الحياة الغربية والهوية الثقافية والحضارية للغرب، مطالبا بوضع حد للهجرة و العمل على الإدماج الثقافي للأجانب في الثقافة الغربية. [1] وهو الإجراء الذي تجسد في السياسة الفرنسية تجاه الإسلام والمسلمين وما اتسمت به

من تحيز واضح في تطبيق القوانين على الأديان والثقافات المختلفة من خلال قوننة الحريات الفردية والدينية لمسلمي فرنسا بفرض "الإسلام الفرنسي" لا " الإسلام في فرنسا" فهذه المفارقات في السياسة الفرنسية إنما هي نابعة من طبيعة تصور الحكومة الفرنسية للمسلمين الذين ترى في زيادة عددهم وكثرة تواجدهم خطرا على الهوية الوطنية، ما جعلها تقوم سنة 2007 بإنشاء" وزارة الهجرة والاندماج والهوية الوطنية " التي كانت منبرا لإطلاق تصريحات عنصرية معادية للإسلام والمسلمين. فهم من حضارة مختلفة وهجين من الثقافات وغير قادرين على التوافق مع الحضارة الغربية المتقدمة، فهذه المجموعات ينبغي تشديد الرقابة عليها والعمل على احتوائها وتدجينها. فالتحدي الأكبر الذي يواجهه الغرب عموما وفرنسا خصوصا هو تلك المخاوف الأوروبية المتزايدة من أن تفرض الجاليات المسلمة في أوروبا قيمها وعاداتها وأفكارها علي المجتمع الأوروبي، تشكل كتلة عددية فاعلة، نتيجة لتماسكها الشديد، وانخراط الأجيال الجديدة منها في العمل السياسين، ومنه العمل على تغيير القضايا المطروحة ، وأن يفتحوا الباب لإعادة النظر في قضايا مجتمعية يعتقد الأوروبيون أنها قد حسمت إلي الأبد.

3 – الغرب ومنزع الهيمنة والصراع.

الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن الفعالية الاستشراقية تعاضدت بوصفها مرحلة تالية تتساوق مع أهداف الحركة الاستعمارية، التي كانت موجها لها ومؤطرة لغايتها، فالدراسات الاستشراقية قد استندت إلى معطيات فلسفية بدءا بفلسفة هيغل، باعتباره أكثر الفلاسفة الغربيين تناولا للبعد

الديني بمنهجية فلسفية، إذ يستند في تحليله للاديان على فرضية تأخذ مضمونها الفلسفي من أن الدين له قدرة في كل مرحلة على التعبير عن الروح المطلق،وأن تاريخ العالم يتجه من الشرق إلى الغرب على أساس أن أوربا تمثل نهاية التاريخ وآسيا بدايته، وبالتالي فالتحقق الفعلي لمفهوم الروح" التي تكشف عن مضمونها على مر الزمان دون أن تتأثر بواقع الزمان المشخص" [1] ولهذا تعد الديانة المسيحية في نظر هيغل الديانة المطلقة بامتياز، فهي وحدها القادرة على إستيعاب الديانات السابقة، فانصهرت فيها كل أشكال التعبير الديني فأصبح مضمونها هو الحق المطلق. وهي الرؤية التي تصب رأسا في التقسيم العرقي لشعوب المعمورة. وكأن العالم الغربي المسيحي هو مهد الحضارات وحامل لوائها ومشعلها، في حين أن العوالم الأخرى –ومنها العالم الإسلامي– معزولة عن الفعل الحضاري. وبهذا يكون الغرب قد أجاز لنفسه تقويم الآخرين من خلال ذاته وتأريخه الخاص، وغاياته ومعاييره الخاصة، فكل الشعوب والحضارات والثقافات الأخرى تبدو بدائية متخلفة اذا قيست بمسيرة الغرب أو قورنت بحضارته وثقافته وعلومه. وهذا هو جوهر التحيز الأيديولوجي وأبعاده الاستعمارية في كتابات الغرب الفكرية والأدبية، ومحاولة إقصاء كل من خالفها.يقول عبد الوهاب المسيري" التحيز هو انسجام مجمل آليات التفكير والاستنباط المعرفي مع الأنساق الكبرى للثقافة أو الحضارة التي تصدر عنها تلك الآليات" [1] وحيثما حل التحيز وجد التمركز حينما تتم صياغة الخطابات الفكرية والسياسية والأدبية، وذلك بإعادة تفسير كل ظاهرة وإرجاعها إلى الذات. فليس من العجب القول بأن ظهور مصطلح الغرب إنما هو تأسيس لمفهوم

التمركز،حيث سعت الخطابات الغربية موضعته في إطار من الفوقية وإبرازه على أنه نموذج مكتمل في مقابل الشرق الدوني الذي يجب أن يبحث عن اكتماله في هذا الغرب، فالمصطلح قصد إلى إقصاء الآخر المغاير وتحويله إلى مكون هامشي، حيث تتحدد أهميته ومكانته أو تعدل حسب مدى مطابقته لمنظور الأنا وتصوراتها. أهم مقررات المركزية الغربية . كما يذهب إلى ذلك عبد الله إبراهيم . "هو إقرارها بوجود تاريخ خاص مطلق للغرب،أدى إلى ظهور حضارة غنية ومتنوعة، وأن ما وصل إليه الغرب من تقدم وازدهار لن يكون عند باقي الأمم إلا بإتباع خطواته، والأخذ بالأسباب ذاتها التي أخذ بها الغربيون. وليس أمام تلك المجتمعات إلا التخلص من خصوصياتها الثقافية ،لأن تلك الخصائص هي المسؤولة عن تخلفها،وهي المعيقة لتطورها" [1] فالتمركز أو التمحور حول الذات هو إقصاء كل لمغاير ،هذا ما يجعل فعل الحوار في ظل الاختلاف مغيبا، ومن ثمة تصير أطروحة حوار الحضارات من قبيل الطوباويات أو الآمال الحالمة، إذ الواقع يثبت أنه لا وجود لهذا الحوار والتعايش على أساس من المساواة واحترام الهويات،لأن مشروع الغرب هو تمكين لنموذج واحد متعالي.فخطاب العولمة مارس اكراهاته المختلفة ،من خلال التبشير بقيم غربية وتعميم نموذجها وإصباغها بصبغة كونية،دون مراعاة شروط تشكل المجتمعات وخصوصيتها الثقافية وهويتها، وهذا ساعد في ظهور الفكر الامتثالي للآخر واختزال الذات إلى عنصر هامشي واستبعاد المكونات القابلة للتطور، وتفجر الحراك الاجتماعي بطريقة فوضوية وكل ذلك بسبب انهيارات متعاقبة في الأنساق الثقافية الأصلية.[1] وما يؤكد حقيقة

التمحور حول الذات، والنزوع الجامح في صميم الذهنية الإقصائية الغربية، فكرة **"صدام الحضارات"** التي جاء بها **"صمويل هنتغتون Samuel Huntington"** في المقالة التي نشرها في مجلة الشؤون الخارجية في سنة 1989 ، والتي طورها في كتاب صدر له في سنة 1996 ، من أخطر النظريات الصدامية التي أنتجها المفكرون الغربيون، لما تحمله من أفكار عنصرية تحث المجتمعات الغربية على مجابهة الحضارات الأخرى التي تختلف عنها وعلى رأسها الحضارة العربية الإسلامية حيث يقول" إن المعتقدات الغربية العالمية، تفترض أن شعوب العالم بأسره لا بد أن تعتنق القيم والمؤسسات والثقافة الغربية،لأنها تجسد أوفى فكر، ولأنها أكثر استنارة وليبرالية وعقلانية وحداثة وتحضرا" [1] فالفروقات الهوياتية بين الحضارات هي التي تؤدي إلى الصدام ،كالتمايز في التاريخ و اللغة و خاصة الدين. فمشكل الغرب ليس مع الأصولية الإسلامية، بل مع الإسلام الذي هو حضارة مختلفة تعتقد شعوبه بتفوق ثقافتهم ويملكهم هاجس انحطاط قوتهم ومادام الإسلام هو المشكل فإنه يتحول إلى مصدر للقلق والخوف عندما يكتسب قوة استراتيجية ،مما يجعل توتر الغرب ينبع أساسا من القوى الإسلامية الآسيوية المتنامية باستمرار،عسكريا واقتصاديا كإندونيسيا والباكستان مثلا ،ومن الدول العربية النفطية المتحكمة في شريان الاقتصاد العالمي، مما سيمكنهما من لعب أدوار هامة على حساب الهيمنة الغربية. فالفروقات بين الحضارات ازداد الوعي بها في ظل التحديث الاقتصادي والاجتماعي وانعكاساته على الهويات القومية والوطنية ، مما ولَد الرغبة في صيانتها من الاختراقات الأجنبية. والحديث عن صراع الحضارات يجرنا حتما إلى

نظرية أخرى آزرت الأولى وكان توجههما واحدا بالرغم من اختلاف زوايا النظر والحيثيات ، حيث يمكن اعتبارهما أساسا نظريا لنظرة الغرب إلى الإسلام موضوع المقاربة إنها نظرية "نهاية التاريخ" التي طرحها **فرنسيس فوكوياما** سنة 1989 في كتابه " نهاية التاريخ وخاتم البشر" والتي ترى أن الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية الأمريكية تشكل نقطة النهاية في التطور الإيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي فهي تمثل نهاية التاريخ يقول "أن الحضارة الأوربية بفكرها ومؤسساتها تمثل نهاية العالم وأن حضارتها تفوق كل الحضارات، وأن المسلمين أعداء التقدم ويقومون بحملة ضدّ الحضارة الأوربية" [1] فهذه الآراء المنذرة للغرب بالتصادم مع الإسلام وجدت ما رأت أنه يمثل مصداقيتها في أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، لذلك راح الكثير يعمقها ويشرح الأحداث على أساسها وممن يتبنى هذا الطرح المفكر والسياسي الأمريكي الاستراتيجي صاحب العلاقات مع العالم الإسلامي"**هنري كسنجر** Kesnger Henry " الذي كتب بعد خمسة أيام من أحداث سبتمبر يقول " الهجمات على نيويورك وواشنطن تمثل تحديا كبيرا للمجتمع المدني الأمريكي والأمن الأمريكي، يتجاوز الهجوم الغادر على"**بيرل هاربور**"[1]، ذلك أن الهدف لم يكن القدرة العسكرية للولايات المتحدة،وإنما معنويات وطريقة حياة المدنيين، وقبل كل شئ تقدم الكارثة قناعة بأن بعض افتراضات العالم المعولم التي تؤكد قيم التوافق والانسجام والمزايا النسبية لا تنطبق على ذلك الجزء من العالم الذي يلجأ إلى الإرهاب، ويبدو أن ذلك الجزء مدفوع بالكراهية العميقة للقيم الغربية بحيث أن ممثليه مستعدون لمواجهة الموت وإنزال المعاناة

الهائلة بالأبرياء، والتهديد بتدمير مجتمعنا لمصلحة ما يعبر عنه بصدام الحضارات"[1] موقف **كسنجر** هذا لا يحتاج إلى جهد لبلورة مفهومه ومنطلقاته، فقد صنف العالم الإسلامي بصورة عامة في خانة العداء متحدثا عن ممثليه الذين يقصد بهم منفذي الهجمات المعروفة، مما يجعلنا أمام صورة عن الإسلام وليس عن تيار معين،أو تنظيم محدد، ولا حتى عن توجه فكري أو سياسي أو ديني ما. وبهذا يكون الصراع صراع حضارة ضد دين ،أو صراع دولة ما ضد دين ما، أي صراع كيان مدجج بكل أنواع الأسلحة، ضد دين أعزل من كل أنواع الأسلحة ، إلا لكونه دينا سماويا ووحيا منزلا، وهو بالتحديد ما يتم التركيز عليه كهدف أساس في الصراع لتشويه صورته. إنها بإيجاز حرب حضارية بمرتكزات عقدية وثقافية. هذه القرائن وغيرها تؤكد يقينا بأن الغرب الأوربي قد رمى بكل ثقله التاريخي ،من أجل فرض واقع الهيمنة وضمان التفوق على امتداد التاريخ القادم، بحيث يبقى الغرب وإلى الأبد هو المركز وغيره الأطراف، والشاهد على هذا هو الواقع المفروض عبر تغلغل الحضارة الغربية في العالم على مستوى أكثر عمقا، يعني مستوى القيم الحضارية والثقافية بغية فرض شروط ثقافية وحضارية ذات صبغة عالمية، فالتفكيك الثقافي المحكم الذي يمارسه الغرب باسم الحداثة يكون قد قطع أشواطا في مهمة تدمير الكيانات الحضارية والثقافية، وتعميم النموذج الغربي بحيث وجدت بعض الشعوب نفسها أمام حقيقة مرة هي أنها لم تعد قادرة على تقليد النموذج الثقافي الغربي الوافد، وفي الوقت ذاته لم تعد قادرة على استعادة الأواصر والأبنية الموروثة التي تشكل عماد أصالتها، فهي بذلك تعيش في غربة عن ذاتها وعن

محيطها. يقول المسيري " إن الثقافة الغربية تريد من العالم أجمع أن يعتمد المعايير المادية النفعية الغربية كأساس لتطوره،وكقيمة اجتماعية وأخلاقية وبهذا فإن ما تبقى يجب أن يسقط،وما تبقى ها هنا ليست خصوصية قومية بل مفهوم الخصوصية نفسه،وليس تاريخا بعينه،بل فكرة التاريخ،وليس هوية بعينها وإنما كل الهويات،وليس منظومة قيمية، بل فكرة القيمة، وليس نوعا بشريا، وإنما فكرة الإنسان المطلق نفسه."[1] فمنظروا المركزية الغربية اقتنعوا بأن الحلقة المفقودة في سلسلة الهيمنة هي الأمة الإسلامية، وهم اليوم في سعي حثيث من أجل تدجينها، وضمها إلى السرب الذي يغرد في فلكها، وأن تصطف في الطابور كرها أم طوعا، ترغيبا أم ترهيبا،وبالتالي محاولة فرض رؤية خاصة ومعايير ثقافية وبقيم مخصوصة يخضع لها الجميع وهي التي عبر عنها طه عبد الرحمان باسم التخريب والتنميط الثقافي"يتجلى هذا التخريب في مختلف أعمال الإنسان الكوني في طوريه الأروبي والأمريكي الرامية الى مسخ قيم الثقافة الإسلامية بكل الوسائل المتاحة لديه، نذكر من هذه الأعمال التخريبية : التشكيك في الثوابت العقدية للدين الإسلامي، والتطاول على مقدساته بدعوى تحري النزاهة والموضوعية، وكذا الطعن في الحقائق التاريخية التي تعلقت بالحضارة الإسلامية بدعوى التزام مقتضيات النقد العلمي"[1]

4- الحوار الحضاري أفقا للتعارف والتعايش.

ولاشك أن الخيار البديل لصدام الحضارات هو أن تتفاعل الحضارات الإنسانية بما يعود على الإنسان والبشرية جمعاء بالخير والفائدة، فأي

محاولة لتمتين كل حوار منشود بين الإسلام والغرب يقتضي إعادة طرح جديد يبتني على الوضوح ويلتزم بأخلاقيات الحوار، ويعيد النظر في الأهداف والوسائل الموصلة إلى ذلك، ولن يكون هذا مجديا إلا إذا تم توسيع قاعدة هذا الحوار ليصير حوارا ثقافيا يشمل كل المكونات والفعاليات الثقافية. فالتفاعل عملية صراعية ولكنها متجهة نحو البناء والاستجابة الحضارية لتحديات الواقع الراهن، عكس نظرية صدام الحضارات التي هي مقولة صراعية تدفع الغرب بإمكاناته العملية والمادية لممارسة الهيمنة ونفي الآخر والسيطرة على مقدراته وثرواته تحت دعوى وتبرير أن نزاعات العالم القادمة سيتحكم فيها العامل الحضاري. بيد أن التفاعل الحضاري لا يمكن أن يتم ويتحقق إلا عن طريق حوار بناء وفعال بين الأديان. وقد سبق لعالم اللاهوت الألماني "**هانس كينغ Hans King**" أن قال "لا حوار بين الحضارات بدون سلام ولا سلام بدون حوار بين الأديان."[1] وإذا كان القرن الحادي والعشرون هو قرن الأديان بامتياز، فإن الدين قد أضحى منبع الثقافات وملهمها، ومنه تتأتى معظم خصوصيات الشعوب ومقوماتها، والحوار بين أهل الأديان المختلفة الأديان يرمي إلى تحقيق العيش المشترك في عالم يسع الجميع مهما كانوا متباينين على المستوى العقائدي والثقافي والحضاري. والإسلام كدين وحضارة عندما يدعو إلى التفاعل بين الحضارات ينكر المركزية الحضارية التي تريد العالم حضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الأنماط والتكتلات ،إذا كانت جهات غربية كثيرة قد دأبت على الدعوة إلى حوار الحضارات وفق شروط وضوابط معينة أملتها ظروف التفوق والاستعلاء الغربي، وتصب كلها في مجرى واحد هو تكريس فكرة تقدم

الإنسان الأوربي، وجدارة أوربا بالهيمنة على العالم ، ونشر الحضارة في أرجائه بدلالات وبصمات الحداثة الغربية بواجهة التحضر والتمدن، وبخلفية الصراع والإقصاء الحضاري والذي يمكن أن نصطلح عليه إسم التدافع التناحري الذي يقطع ويشوش على إمكانات التعاون والتعارف بين الحضارات، ويسلك به مسلك البغي والدمار، وهو ما لم تعد البشرية اليوم في مقدورها أن تدفع ثمنه، نظرا لما تعاقب عندها من المآسي والأحزان الذي تولَّد عن خيار العنف والنزاعات، فمن مصلحة كل الحضارات والثقافات في العالم نبذ العنف في علاقاتها، والخروج من حالة الفوضى إلى حالة الانتظام والاتزان، والذي يمكن أن نصطلح عليه باسم التدافع التعارفي الذي ينطلق من إشراك الجميع في تحمل مصير ومستقبل الإنسانية كافة، بمقتضى مقصد الاستخلاف في الكون، من خلال العمل على إصلاح المعمور من الفساد مصداقا لقوله عز وجل في سورة سورة البقرة، الآية 249 ﴿ وَلَوْلاَ دفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ، وَلَـكِنَّ اللهَ ذُوْ فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِيْن﴾. فالطرف الإسلامي خاصة في عصر الصحوة الإسلامية الراهنة لم يكن بعيدا عن فكرة تنظيم مؤتمرات وملتقيات دولية لترسيخ آليات الحوار والتقريب بين الثقافات والحضارات من طرف مؤسسات ومنظمات ثقافية إيمانا منها بأن حوار الحضارات يعتبر مطلبا إسلاميا ملحا يدعو إليه القرآن الكريم .فبقدر ما تعظم الحاجة إلى حوار جدي بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب ولبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي يجب تهيئة الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار وإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيح أن الحضارة الإسلامية قامت على القاسم المشترك بين

حضارات العالم، فقبلت الآخر وتفاعلت معه أخذا وعطاء، بل أن حضارة الإسلام تعاملت مع الاختلاف بين البشر باعتباره سنة من سنن الكون. لذلك دعا الخطاب القرآني إلى اعتبار الاختلاف في الجنس والدين واللغة من عوامل التعارف بين البشر مصداقا لقوله عز وجل في سورة الحجرات، الآية 13: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. فالأمة الإسلامية في تواصلها مع غيرها، مبدؤها التعارف أي تواصلها من أجل المعروف، وتعاملها بالمعروف، بدليل ربطها التعارف بالكرامة والتقوى. فالعمل التعارفي يكون بين الأشخاص المختلفين كما يكون بين الأمم والشعوب المختلفة على قيم الخير والمحبة. وفقا لهذه الحتمية التي يجب أن يؤول إليها العمل التعارفي يحصل التنوع الثقافي والحضاري أو بالأحرى أشكال التنوع الحاصلة بين المجموعات البشرية في التاريخ؛ بحكم تنوع شروط كينونتها. إلا أن هذا التنوع لا يعني تنافي الثقافات وتنافرها، بل تكامل الثقافات وتقاربها في شكل تفاعلي تثاقفي .يقول طه عبد الرحمان" فكما أننا نأخذ من ثقافة الآخرين ونحتاج إلى البقاء على الأخذ منهم، لا من جهة الإطلاع على أسباب المعرفة فحسب؛ بل أيضا من جهة تقوية العمل التعارفي أي يرجع إليه كمال التخلق، فكذلك ينبغي أن نعطيهم من ثقافتنا ما لا يقدرون على تحصيله بأنفسهم، بل أن نحوجهم إلى هذا التحصيل متى واصلنا تملك أسبابهم وتوسلنا بها في الكشف عن جوانب من ثقافتنا تفيدهم في دفع الآفات التي دخلت اختباراتهم الحضارية "[1]

وعليه يحق القول بإن الحضارة الإسلامية تدعو إلى حوار ثقافي حضاري على أساس ندية الثقافة والحضارة و الإنسان، بعيدا عن الإزدرائية والاختزالية النابعة من روح الاستعلاء والهيمنة، وبذلك يمكن البحث معا عن قاعدة الاتفاق والبناء على أساسها ، والعمل على تقليل أسباب الخلاف. فكم هو عالم اليوم في حاجة ماسة ومُلحة لانخراط الجميع من مختلف الأنساق الحضارية في تأمين مصائرها، وتحقيق سعادتها في تدافعها التعاوني، وسلك مسالك التفاعل فيما بينها، وتعمير الأرض بالخير والصلاح حتى يعم الجميع، وهو ما يحتم على العقلاء من أبناء هذه الأنساق العقدية والاجتماعية، أن يدركوا أن بالحوار والتعاون والتفاعل والتوافق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وسواهما من الحضارات وتبادل المصالح والخبرات بينهم، ينطلق الجميع نحو ترقية حياتهم الإنسانية وتوازنها والتعايش السلمي بين شعوبهم وحضارتهم. فهذا هو السبيل المطلوب اليوم بين هذه الحضارات المعاصرة، لتحقيق العيش الكريم والتساكن في ود وسلام واطمئنان ،بعيدا عن النزوع نحو السيطرة والعدائية والإقصاء.

خاتمة

تحصيلا لما تمَ بسطه يمكن القول بإن موقف الغرب المعلن أو المضمر تجاه الإسلام قد ولد منذ البداية في العالم الإسلامي ردود فعل طبيعية حينا، ومغالية أحيانا، بحيث أدت عمليات الفعل وردود الفعل المتراكمة والمتعاظمة إلى أن يصدق الغرب مزاعمه الأصلية ،ويؤمن بصحة تخيره شيطانه وهو الإسلام. ففي فصل جديد من فصول تأزم العلاقة بين

العالمين الغربي والإسلامي، شهدت المجتمعات الغربية في الآونة الأخيرة موجة من الممارسات العنصرية، وأشكالا من العداء والتمييز ضد الإسلام والمسلمين،تم إدراجها تحت مسمى –الإسلاموفوبيا– تحت لائحة من التهم تستقي مدادها من محبرة الحقد والعداء، والتي تعمل جهات معينة على نشرها وتعميمها، ترسم صورة قاتمة عن الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية. ففي ظل هذا الواقع المفروض يمكن القول يقينا أن الدعوة إلى الحوار الحضاري في زمن الهيمنة المطلقة لخطاب العولمة الجديدة ما هو إلا أكبر أكذوبة يروجها الغرب اليوم أكثر من أي وقت مضى، وما هو في واقع الأمر إلا ذريعة لجر الشعوب الممانعة، والعصية على الانكسار والخضوع، إلى القبول بخطاب يدفع باتجاه الاستفراد والهيمنة ، ظاهره يلح على ضرورة الحوار والتعايش، وباطنه يختزن صورا قاتمة عن هذه الشعوب الممانعة، وبخاصة منها الشعوب الإسلامية، لا لشيء، إلا لكونها ترفض رفضا باتا كل سياسات التهجين والتدجين والاستتباع الحضاري بتعبير طه عبد الرحمان، وإفراغ الشخصية الحضارية للمسلمين من روح العقيدة الصحيحة التي تحفظ عليهم قوة الانتماء وتماسك البناء . وعليه المطلوب من الأمة أن تدرك أن دخولها حلبة الحوار الحضاري مع الغرب المعاصر، في ظل الوضعية الراهنة، مخاطرة ليس بالجانب الثقافي والحضاري فقط، ولكن بمصير الهوية ككل، إذ يظهر جلياً للمتتبع أنه من غير المنطقي أن يكون الحوار بين طرفين أحدهما يعيش على إيقاع الغلبة و نشوة السيطرة، والآخر ما زال يبحث عن أسباب تخلفه وهبوطه الحضاري الذي أصيب به منذ قرون بغض النظر عن اسبابه.

وعليه يمكن إن فعل الحوار بما هو خيار أصيل واستراتيجي لا فكاك منه في ثقافة التعايش بين الشعوب والأمم لا يكون بين غالب ومغلوب، بين قوي وضعيف، وبين ذات حققت كيانها بكل جوانبه، وذات أخرى لا تزال تجتر الهزائم وتكرر الأخطاء وتعاود التراجعات والإخفاقات، وبدل الدخول في حوار مع الآخر، والقبول بهذا العرض الذي نشك في مصداقيته وشرعيته، على الأمة أن تقدم على خيار المواجهة ليس مع الغير، ولكن مع الذات أولاً، دفعا بها باتجاه الخروج من أزمة الهبوط الحضاري الخطير الذي تعيشه راهنا من جهة، وترتيب دائرة العلاقات المتعددة الأطراف فيما بيننا لنكون في دائرة الضوء بالحجم المطلوب الذي تقتضيه طاولة الحوار مع ثقافة تتأسس على نزعة الاستعلاء منذ القديم. ويزداد إشكال الحوار تعقيدا كلما ربطنا واقع هذا الهبوط بواقع الهيمنة الغربية العالمية في ظل خطاب العولمة بكل مستوياتها ومفاعيلها ، ولعل هذا ما جعلنا نصف طبيعة الحوار بالفخ والمكيدة الماكرة التي تجر إليها الأمة الإسلامية للقبول بخيار ثقافي زائف ومؤسس تأسيسا فاسدا لن يبقى عاجلا أم آجلا على مقومات هويتها و بُنى شخصيتها الحضارية.

[1]- يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 تم تفجير برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) من قبل 19 شابا من أتباع بن لادن. حيث اختطفت أربع طائرات أمريكية، ضربت اثنتان منها برجي التجارة العالمي في نيويورك، وسقطت الثالثة في بنسلفانيا، بينما حاولت الأخيرة ضرب مبنى البنتاغون، ما أدى إلى قتل نحو ثلاثة آلاف شخص-حسب ما أوردته وسائل الإعلام العالمية- وكرد منه برر ابن لادن ولأول مرة سبب إقدام القاعدة

على توجيه ضربة للمباني المدنية في الولايات المتحدة، فقد علل بن لادن الضربة بقوله:" بعدما طفح الكيل بالمسلمين من إقدام إسرائيل على اجتياح لبنان سنة 1982، وما تفعله من أعمال إرهابية ضد المدنيين الأبرياء في فلسطين وماتشهده الساحة الإسلامية من انتهاكات إسرائيلية حيال الشعب الفلسطيني. وأيضًا ما يراه كل العالم بأن أمريكا تساند وتبارك إسرائيل بما تفعله باحتلالها أراض ليست حقا لها لا في تاريخ أو حضارة ". عن موقع: اسامة بن لادن: الملياردير الذي اختار حياة الجبال – شبكة الشاهد الإخبارية–
http://arabic.alshahid.net/biographies/42174

[1]– أوليفيه روا، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة نصير مروة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط2 . 1996 ، ص41.

[1]– العقيد توماس إدوارد لورنس ،الشهير بلورنس العرب (1888 – 1935) ضابط مخابرات بريطاني كُلف بمهام خلف خطوط العدو العثماني عبر تأليب القبائل العربية وزعمائها ضد الدولة العثمانية ودفعها للتمرد و قطع خطوط امداد الجيش العثماني وشغله. مهمة لورنس تكللت بالنجاح في اشعال ما عرف بالثورة العربية. وتقاسم بريطانيا وفرنسا المشرق العربي عبر اتفاقية سايكس بيكو عام 1916. توماس إدوارد لورنس (لورنس العرب) أعمدة الحكمة السبعة، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر– بيروت، ط1، 2009.

[1]– يوسف القرضاوي ، في فقه الأقليات المسلمة ، مكتبة دار الشروق، مصر ، ط1،2001 ، ص 15.

[1]– السيد ولد أباه ، عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 ، الدار العربية للعلم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2005 – ص 150.

[1]– الطابور الخامس مصطلح متداول في أدبيات العلوم السياسية والاجتماعية نشأ أثناء الحرب الأهلية الأسبانية التي نشبت عام 1936 م واستمرت ثلاث سنوات وأول من أطلق هذا التعبير هو الجنرال اميليو مولا أحد قادة القوات الوطنية الزاحفة على مدريد وكانت تتكون من أربعة طوابير من الثوار فقال حينها إن

هناك طابورًا خامسًا يعمل مع الوطنيين لجيش الجنرال فرانكو ضد الحكومة الجمهورية التي كانت ذات ميول ماركسية يسارية من داخل مدريد ويقصد به مؤيدي فرانكو من الشعب، وبعدها ترسخ هذا المعنى في الاعتماد على الجواسيس في الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي. عن موقع ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki

[1]– من اروع ما وصفته الاساطير اليونانية حصان طروادة التي تروي ان هيلين الحسناء الاسبرطية المشهوره بجمالها التي احبت باريس واحبها وخطفها وهرب بها الى مملكةطروادة، مما أثار غضب آغاممنون شقيق مينيلوس زوج هلين فحشد جيشاً من اليونانيين لشن حرب ضد طروادة انتقاماً للشرف. وركب البحر على اسطول يعد ما يزيد على ألف سفينة تحمل مائة ألف مقاتل بقيادة ملوك اليونان وامرائهم ونزل اليونانيون على شواطىء طروادة وفرضوا عليها حصاراً كاملاً . لجأ اليونانيون الى المخادعة وصنعوا حصاناً خشبياً ضخماً يتسع باطنه لمائة مقاتل ثم تظاهروا برفع الحصار وانسحبوا الى سفنهم فخرج شعب طروادة فرحين بنصرهم واندهشوا عجباً بالحصان الخشبي وجروه الى ساحة المدينة. واقام الطرواديون حول الحصان مأدبة كبرى ، ورقصوا وسكروا وعندها انطلق اليونانيون من جوف الحصان الى باب المدينة المطله على الشاطىء وفتحوا الباب وخرقوا السور ودخلت المدينة دون عناء وعملوا في طروادة قتلاً وحرقاً ونهبا. تلخيص لمقدمة كتاب :هوميروس،الإلياذة، ترجمة وتحقيق دريني خشبة، دارالعودة ، بيروت، ط1999،1.

[1]– الحروب الصليبية مصطلح حديث ملأ كتب التاريخ والفكر العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بل يكاد يكون المصطلح الوحيد الذي يجمع على استعماله معظم الباحثين في الدراسات الصليبية وعلاقات الشرق بالغرب بينما يندر استعمال المصطلحات الأخرى التي شاعت قديما وكيف أطلقت على الغزو الاوربي الغربي على المنطقة العربية في اواخر القرن 11– اواخر القرن13 .وعرفت أيضا باسم "الحرب المقدسة والحرب العادلة" ،حيث اخذت الكنيسة الغربية مفهوم الحرب العادلة من سان اوغسطين (354–430م) في كتابه مدينة

الله كونها حرباً مسببة وشرعية بدلاً من الافكار السلمية التي اكدها الكتاب المقدس التي ظلت الكنيسة الشرقية تعترف بها. ساهمت التطورات الداخلية في اوربا في شرعنة الحرب، ومنها الدور الذي قامت به الكنيسة الغربية بعد سقوط روما سنة 476 م، ومحاولة فرض هيمنتها او استمالة القوى الفعالة الى جانبها للدفاع عنها . فصورت للناس ان الحرب المشروعة هي حرب لا تتنافى مع المباديء المسيحية .ثم شعرت البابوية بخطر التقدم الاسلامي في اوربا في شبه جزيرة ايبريا –الاندلس– و في جنوب ايطاليا ووسط فرنسا. شكيب ارسلان ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزر البحر المتوسط ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه مصر ،1934، ص15 ومابعدها .

[1] – Norman Daniel, Islam et Occident, traduit par Alain spiess, Ed. Du Cerf, Paris, 1993, p,151.

[1]– عيسى اليازجي ،المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية ،الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1 ،2004، ص39.

[1]– زكي الميلاد، نحن والعالم، من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض ، 2005، ص9.

[1]– غوستاف لوبون (1841–1931) طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس 1884" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس" و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع" الذي كان انجازه الأول. هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: http://ar.wikipedia.org/wiki

[1]–غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ،2013، ص338.

[1]– منير العكش، حق التضحية بالآخر،أمريكا والإبادات الجماعية،دار رياض الريَس للكتب والنشر بيروت ، 2002 ، ص149.

[1]– فرد هاليداي، الإسلام والغرب، خرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق الأوسط، ترجمة عبدالإله النعيمي، بيروت: دار الساقي، ط1، 1998 ، ص 87.

[1]– رودي بارت: الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، ترجمة: الدكتور مصطفى ماهر، القاهرة، 1967 ، ص9.

[1]– Renan, Oeuvres complets, tome III, Edition, Calmann-Levy, Ernest Paris, 1949, p 768.

[1]– Arkoun, Mohammed, Ouvertures sur l'Islam, Ed., Jacques Grancher, Paris, 1989, p. 146.

[1]– مصطلح استخدم لوصف الحملات الحكومية المنظمة من قبل حكومة ألمانيا النازية وبعض من حلفائها لغرض الاضطهاد والتصفية العرقية لليهود في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية. كلمة هولوكوست هي كلمة مشتقة من اليونانية و تعني "الحرق الكامل للقرابين المقدمة لخالق الكون". أول مرة استعملت فيها كلمة هولوكوست لوصف طريقة معاملة هتلر لليهود كانت في عام 1942 ولكن الكلمة لم تلق انتشاراً واسعا لحد الخمسينيات، ومع السبعينيات أصبحت كلمة هولوكوست تستعمل حصرياً لوصف حملات الإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود بالتحديد على يد السلطات الألمانية أثناء هيمنة الحزب النازي بقيادة أدولف هتلر. اليهود أنفسهم كانوا يستعملون كلمة شواه في الأربعينيات بدلا من هولوكوست وهي كلمة مذكورة في التوراة وتعني الكارثة. هولوكوست – ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:http://ar.wikipedia.org/wiki

[1]– أحمد أبو الروس أحمد،الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية ،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،2001، ص 13.

[1]- محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص ص 119، 120.

[1]- إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، دت،1999.ص283.

[1]- عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ماليزيا-نيويورك، ط1997،1. ص 273.

[1]- عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1،2004.ص43.

[1]- عبد الله إبراهيم ، المركزية الإسلامية ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1،2001.ص29.

[1]- صمويل هنتغتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة، مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود
محمد خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، 1999، ص 501

[1]- فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين،مركز الأهرام للترجمة والنشر،القاهرة،1993،ص12.

[1]- بيرل هاربُر Pearl Harbor: بالإنجليزية أي ميناء اللؤلؤ، ميناء وقاعدة عسكرية يقع على جزيرة أواهو، الذي ينتمي إلى جزر هاواي، معروف بكونه كان هدفا لهجوم مباغت في 7 ديسمبر 1941 من اليابان، بسبب الحصار الاقتصادي الذي كانت تمارس الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الهجوم أسفر عن المشاركة النشطة من جانب الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية، ورغم أنها أعلنت الحياد من الناحية الرسمية. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org/wiki

[1]- هنري كسنجر، معنا أم مع الإرهاب، نيويورك تايمز،النسخة العربية في جريدة الشرق الأوسط، 2001/09/16.

[1]- عبد الوهاب المسيري،صراع حضارات أم حوار ثقافات،منشورات منظمة تضامن الشعوب الإفريقية والأسيوية، القاهرة، مصر،1997 ،ص100.

[1]- طه عبد الرحمان، الحق الاسلامي في الاختلاف الفكري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، ط1، ص 83.

[1]- Hans kung, Le christianisme et les religions du monde, ed le Seuil, Paris, 1986, p140 .

[1]- طه عبد الرحمان،الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، مرجع سابق، ص 88.